

## فوز حزب "يش عتيد": العوامل السياسيّة والخلفيات الاجتماعيّة

مهّد مصطفى\*

كان فوز حزب "يش عتيد" برئاسة لبيد مفاجأة الانتخابات؛ إذ حصل الحزب على 19 مقعداً (14.3% من الأصوات)، في أوّل دورة انتخابيّة يشارك فيها. حتّى والده الذي قاد قائمة المركز، "شينوي"، لم يحقّق نتيجة كهذه، إذ حصل على ستّة مقاعد في الدورة الأولى التي شارك فيها عام 1999، وعلى خمسة عشر مقعداً في العام 2003، وانهار الحزب بعدها.

أنشأ لبيد الابن حزب "يش عتيد"، كحزب مركز، وتوجّه بخطابه إلى الطبقة الوسطى الإسرائيليّة، مركزاً على موضوع المساواة في تحمّل العبء، أي فرض الأعباء الاقتصاديّة والعسكريّة على كلّ قطاعات المجتمع الإسرائيليّ، وذلك بادّعاء أنّ الطبقة الوسطى الإسرائيليّة العلمانيّة هي التي تتحمّل الأعباء وحدها، بينما ثمة قطاعات، ولا سيّما المتديّنين اليهود، لا يشاركون في هذه الأعباء. كلمة "عبء" هي المصطلح المتداول إسرائيليّاً للإشارة إلى أنّ هنالك من يقوم بواجبات، وهنالك من يأخذ حقوقاً فقط دون أن يقمّ واجبات، وهو خطاب وإن أظهره لبيد، كخطاب مركز الخارطة السياسيّة فإنّه في الحقيقة خطاب اليمين، فحزب "يسرائيل بيتينو" الروسيّ الذي قاده لبيرمان حصل على 15 مقعداً في انتخابات العام 2009، بسبب رفعه لشعار "لا حقوق بدون واجبات"، وكان موجّهاً في الأساس ضدّ الفلسطينيين داخل إسرائيل، وقد استبدل هذا الشعار في الانتخابات الأخيرة بشعار "المساواة في العبء". اختار لبيد قائمته الانتخابيّة بصورة شخصيّة منفردة، فهو شخصياً الذي اختار أعضاء قائمته الانتخابيّة، وهو في هذا المنحى سلك مسلك الأحزاب الدينيّة مثل "شاس" ويهدوت هتوراه حيث يختار مجلس رجال الدين أعضاء القائمة، ومسلك الأحزاب الشخصيّة مثل حزب "يسرائيل

بيتينو" بزعامة ليبرمان. تكوّنت قائمة لبيد من شخصيات ذات توجهات متباينة، جمعتها، بالأساس، قضية "المساواة في الأعباء".

نهج لبيد نهجاً مختلفاً عن أبيه، فلم يظهر حزبه مُعادياً للمتديّنين بالمطلق، بل ظهر مناصراً للطبقة الوسطى، وقد أدرج في قائمته رجال دين يتبنون مواقف متقدّمة في قضايا الاقتصاد والمجتمع. في موقع الحزب، يظهر الأساس الأيديولوجي للحزب على صيغة "من نحن؟"، ويعدّد الحزب المحاور الأساسية لتوجّهه الأيديولوجي في القضايا السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. يحدّد الحزب أولاً رؤيته لهويّة الدولة: "نحن نؤمن بكون إسرائيل دولة يهوديّة ديمقراطيّة بروح تصوّر أنبياء إسرائيل. نحن نؤمن بحقنا في العيش في دولة مع أغلبية يهوديّة تعيش في حدود آمنة وقابلة للدفاع"، ويشير إلى رؤيته للعلاقة بين دولة إسرائيل ويهود العالم: "نحن نؤمن أنّ من واجب الدولة أن تعمل كمركز للشعب اليهودي، والاهتمام بكلّ يهوديّ مُلاحق بسبب يهوديته على وجه الأرض".

تظهر يمينيّة الحزب في الجانب السياسيّ من برنامجه، حيث جاء فيه: "لا يوافق حزب "يش عتيد" على الاتهامات الذاتية التي يطلقها جزء من الجمهور الإسرائيليّ واليهوديّ في مسألة السلام، نحن نعتقد أنّ الفلسطينيين... رفضوا مرّة تلو الأخرى يد إسرائيل الممدودة للسلام، هكذا في الانتفاضة الأولى والانتفاضة الثانية، وهكذا بعد الانفصال الأحاديّ الجانب عن غزّة؛ فبدل أن يبنوا مستشفيات ومدارس مكان مستوطنات غوش قطيف في غزّة، فضّلوا إطلاق آلاف الصواريخ على المدنيّين، وهكذا هو الشأن في رفضهم اقتراح إيهود أولمرت للحلّ".

يقترح الحزب تبني حلّ الدولتين لا بدافع الاعتراف بحقوق الفلسطينيين الوطنيّة، بل بدافع الحفاظ على إسرائيل كدولة يهوديّة مع أغلبية يهوديّة، ويعتبر المستوطنين صهيونيّين حقيقيّين، حيث يشير البرنامج إلى أنّ "السلام هو الحلّ المعقول الوحيد للتهديد الديمغرافيّ ولأفكار كفكرة دولة كلّ مواطنيها والدولة الثنائيّة القوميّة". أمّا في ما يتعلّق بشكل الحلّ النهائيّ الذي يقترحه الحزب، فيتمثّل في حلّ الدولتين، دون العودة إلى حدود السادس من حزيران عام 1967، ومع الإبقاء على الكتل الاستيطانيّة في الضفّة الغربيّة، والإبقاء على القدس عاصمة موحّدة وأبدية لإسرائيل، وحلّ مشكلة

اللاجئين في الدولة الفلسطينية فقط، وامتلاك إسرائيل الحقّ في محاربة "الإرهاب" حتّى داخل الدولة الفلسطينية التي ستقام. يوضّح برنامج الحزب السياسيّ أنّه لا يقَدّم تصوّرًا مختلفًا عمّا طرحه نتنياهو في خطاب بار إيلان، غير أنّ نتنياهو يريد من الفلسطينيين الاعتراف بإسرائيل كدولة يهوديّة، بل يريد لبيد انتزاع ذلك على أرض الواقع.

ثمّة الكثير من العوامل التي أدّت إلى فوز الحزب، منها ما يتعلّق بشخصيّة لبيد نفسه، هو الذي يمثّل الإسرائيليّ الطامح إلى عيش حياة رغيدة وهادئة بعيدًا عن الأعياب السياسية، على نحو ما سوّق خلال حملته الانتخابيّة. وعلى العكس من أبيه، كما أوردنا سابقًا، لم يكن خطاب لبيد مُعادياً للمتديّنين، ولا يعني ذلك أنّ قواعده الاجتماعيّة التي صوّتت له تحمل المودّة للمتديّنين الأرثوذكسيّين، إلاّ أنّها لا تريد حزبًا يؤسّس خطابه على ذلك فقط. جاء لبيد بقائمة لم يكن أفرادها أعضاء سابقين في البرلمان، بل أسّس لقائمة تدمج شرائح مختلفة في المجتمع الإسرائيليّ التفت على الإجماع الصهيونيّ في القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

دمج الحزب في خطابه السياسيّ والاقتصاديّ مركّبات من خطاب اليمين الليبراليّ ومركّبات من خطاب دولة الرفاه. ركّز خطابه الاقتصاديّ على دعم الطبقة الوسطى الإسرائيليّة، وهي طبقة تتركّز جغرافيًا في مركز البلاد وتتكوّن غالبيّتها من اليهود الإشبناز، ولكنّه لم يطالب بأن تكون إسرائيل دولة اشتراكيّة-ديمقراطيّة في نظامها الاقتصاديّ، أي إنّ خطابه الاقتصاديّ لم يشدّد على دعم الطبقات المهمّشة والضعيفة في المجتمع الإسرائيليّ، بل على مساندة الطبقات الوسطى العليا.

تبيّن النتائج أنّ حزب "إيش عتيد" العلمانيّ هو حزب الطبقة الوسطى والعليا الإسرائيليّة؛ فهو الحزب الذي حصل على أكبر نسبة مصوّتين في البلديات المُدرّجة في العناقيد<sup>1</sup> العاشر والتاسع والثامن (27%، 26%، 23% على التوالي)، بينما حصل على نسبة تأييد، في العنقودين السابع والسادس، تفوق نسبة تأييده العامّة (20%؛ 17% - على التوالي). وتبيّن النتائج بصورة جليّة أنّه كلّما تراجَع

<sup>1</sup> . توزّع دائرة الإحصاء المركزيّة التجمّعات السكّنيّة في إسرائيل إلى عشرة عناقيد وفقًا للوضع الاجتماعيّ الاقتصاديّ الاقتصاديّ لها، بحيث يشمل العنقود العاشر التجمّعات ذات المستوى الاقتصاديّ الاجتماعيّ الأكثر رفعة، بينما يشمل العنقود الأوّل التجمّعات السكّنيّة الأقلّ رفعة من الناحية الاقتصاديّة الاجتماعيّة.

تصنيف البلدان اجتماعياً واقتصادياً تراجمت نسبة التأييد لحزب "يش عتيد"، ويبرز التراجع الواضح من العنقود الخامس حتى العنقود الأول (8%؛ 2%؛ 1%؛ 0% - على التوالي). استطاع حزب "يش عتيد" أن يجذب قطاعات اجتماعية متنوعة في المجتمع الإسرائيلي، على الرغم من أنّ الخيط الذي يربطها جميعاً هو كونها تنتمي إلى الطبقتين الوسطى والوسطى العليا في المجتمع الإسرائيلي. حاول الحزب أن يدمج مرگبات عديدة في خطابه السياسي والاقتصادي من اليمين والمركز واليسار، إذا تبتينا هذه التقسيمات الاصطلاحية على المستوى الإسرائيلي؛ فخطابه السياسي قريب من خطاب بار إيلان، ولكنه يعادي اليمين المتطرف في تأييده لحلّ الدولتين، كما أنّ موقفه كان شعبوياً في موضوع "المساواة في العبء"، دغدغ عواطف الطبقات العليا الإشكنازية في المجتمع الإسرائيلي. أمّا في ما يتعلق بالموضوع الاقتصادي، فقد طرح برنامجاً ضبابياً حاول أن يظهر فيه بمظهر المدافع عن الطبقات الوسطى. هذا البرنامج الذي تجد فيه مرگبات ليبرالية، ومرگبات تدعو إلى تدخّل الدولة في الاقتصاد، سوف يصطدم بواقع إسرائيل الاقتصادي، ولا سيّما أنّ رئيس الحزب أصبح وزير مالية إسرائيل.

\* د. مهند مصطفى هو محاضر في كلية العلوم السياسية في جامعة حيفا.